الكتابة النسوية بين الهامش والمركز
الدراسة النقدية_

Feminist writing between the margin and the center
Critical study .

بوشاقي زهرة[1]
أستاذة التعليم العالي
جامعة سيدي بلعباس

تاريخ الاستلام: 2022/.9./.25. تاريخ القبول: 2023/.1/.14 تاريخ النشر : 2025/.12./.30.

الملخص:

ما نصبو إليه من خلال هذه الورقة البحثية هو الجوس في مسارب إشكاليات عديدة تتعلق فيما تتعلق بتفجر الطاقات الأنثوية الأدبية والنقدية وتحررها من عالمها المهمش لتفتح أفقا لعالمها وتتبوأ مركزا إبداعيا متناميا. هل بإمكان الكتابة النسوية أن تزعزع مكانتها الهامشية وتتقمص المركزية؟ أم أنها ستبقى رهينة اللامركزية أمام هيمنة الذكورة على عالم رجالي بكل أبعاد ومجالاته؟

هل يرقى أدب المرأة ونقدها لينافس الإبداع الرجالي؟

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي، النقد النسوي، الذكورة والأنوثة، الهامش. المركز.

Abstract

What we aspire to through this research paper is to deepen the many problematic avenues related to the explosion of female literary and monetary energies and the liberation of her marginalized world to open a horizon to her world and occupy a growing creative hub. Can feminist writing destabilize its marginal status and become central? Or will it remain hostage to decentralization in the face of the domination of masculinity over a masculine world in all its dimensions and domains?

Are women's literature and criticism rising to compete with men's creativity?

Keywords: feminist literature, feminist critique, masculinity and femininity, the margin. Center

تمهيد:

إن السمو بالفكر عن جماليات الأدب كأدب -يعمل على صقل النفس البشرية بفكره ومضامينه، وتغذية الروح الإنسانية بجماليات أساليبه وعباراته، من خلال انزياح الألفاظ عن معانيها المنثورة في المعاجم اللغوية، وتبنيها أرواحا دلالية حين وضعها في أسيقة لغوية بلاغية- إلى النظر في تناقضات فكرية ذات منابع عقائدية مجتمعية ليعد بحق هدما للجمال وتفتحا على ملامح القبح الانتقادي المميّع. وخروجا عن المألوف إلى اطراد فكر جديد يجوب الأقواس المفرغة تحليلا ونقدا.

إن مصطلح الكتابة النسوية الذي لاقى ذيوعا وانتشارا في خضم موجة النقد الحداثي إنما يعنى بعلاقة المرأة الاجتماعية بالأدب، واستجلاء لدورها وقيمة إبداعاتها الأدبية والنقدية في مجتمع طغت عليه الذكورة.

تتطرق ورقتنا البحثية إلى مجموعة من الثنائيات: الذكورة والأنوثة، المرأة والرجل، الهامش والمركز، السلطة والدنوية، الخفاء والتجلّي، فقد انبجست هذه الثنائيات عن ثنائية رئيسة في خلق الوجود وسيرورته، انها مسألة الخير والشر.

تعريف الهامش والمركز

تعريف المركز:

لغة: من ركّز ، الرّكز وهو غرزك شيئا منتصبا كالرّمح ونحوه، والراكز هي منابت الأسنان، وراكز الجند هو الموضع أذي أمروا أن يلزموه وأمروا ألا يبرحوه، ومركز الرجل هو موضعه، يقال أخلّ فلان بمركزه، ومركز الدائرة وسطها.[i]

تعريف الهامش:

الهامش حاشية الكتاب، جزء خال من النص في الكتاب المطبوع أو المخطوط، ويقال على هامش الأمر أي خارجا عنه أو بمعزل منه، وفلان يعيش على الهامش منفرد غير مندمج في المجتمع، مهمل منعزل....[ii]

الأدب المركزي والأدب الهامشي:

الأدب المركزي: هو الأدب الرسمي المكرس من قبل السلطة لمسايرته للمعايير المتعارف عليها وتكريسه للأيديولوجيا التي تتبناها.

الأدب الهامشي: هو الأدب المعارض الذي يكسر المعايير الفنية المكرسة ويعاكس الأيديولوجيا السائدة عرف بأدب الرفض أو أدب الرفض.

نشأ أدب الهامش مرتبطا بحركات المعارضة وولد مع ولادة الأدب نفسه لكنه تجلى بحدة أكبر في نهاية القرن العشرين بسبب تحقيق الديمقراطية التي فسحت الباب واسعا أمام حرية التعبير فكانت بداية

الاعتناء بهذا النوع في جامعة بوردو سنة 1961 حيث أصبحت تطرح قضية الآداب المتعالية والآداب الدنيا ثم ملتقى سيرسي 1963 أين تحدد مصطلح الأدب الهامشي وتعينت حدوده.

وفي سنة 1984 استخدم قاموس *la rousse* أول مرة مصطلح . *paralittérature*، من قضاياه السياسة المرأة المجتمع .....

مصطلحات موازية:

هناك عدة مصطلحات موازية لمصطلحات الأدب الهامشي أو الأدب الشبيه أو الأدب المعادل أو الأدب المكافئ، هذه الترجمة تضعنا أمام عدة خيارات، فالأدب الشبيه اعتراف ضمني بنفي صفة الأدبية عن هذا الأدب وهو مجرد شبيه وهذا انتقاص من حقه.كما تمّ رفض التسميات الأدب المعادل أوالمكافئ وقبلت التسميتان الموازي والهامشي.

نماذج من الهامش والمركز في الأدب:

- صنف الأدب النسوي هامشيا بالنظر إلى الأدب الذكور لمعيار النسبية فهذا الميدان وضع قواعده الرجال فيستحيل أن تتغلب فيه المرأة عن الرجل في ميدانه.
- الأدب المنظوم المفضل عن الأدب المنثور.
- الأدب الشعبي صنف هامشيا بالنظر إلى الأدب الفصيح لأنه يعكس المعايير الفنية التي سنها الأدب ، كما أنهه يكسر ويتخطى القيود.
- أدب الطفل صنف هامشيا بالنظر إلى أدب الكبار بالنظر إلى النزول في مستوى الفكر واللغة.

الأدب النسوي:

يتقمص مفهوم الأدب النسوي أو الكتابة النسوية فكرة مقابلة للأدب الذكوري الذي يتركز في مجال الأدب بصفة عامة، لازال هذا المصطلح غير ثابت وغير متفق عليه لما يحمله في جعبته من تناقضات واعتراضات وتحفظات، النابعة من المحاولات التحررية للمرأة الواقعة تحت سطوة المجتمع الذكوري المهيمن بفكره وسلوكه، لم يكن هذا المصطلح ليمثل نوعا أو صنفا أدبيا كما كان المراد منه من قبل واضعيه، وإنما غاص في فلك الغموض ليغيب الدقة والجلاء من جهة، ويخلق تقابلا أو تضادا في خضم الثنائيتين: الذكورة والأنوثة وكذا الهامش والمركز.

إن خلق هذا التضاد إنّما يعمل دون شك على تمييع الفكر الأدبي نتيجة خلق ما يسمى بالندّية بين الرجل والمرء، ثم إناطة هذا الثنائية المتضادة بالاهتمام إنما يعزز نظر المفكر إلى ثنائية الجمال والقبح بين أدبيات الرجل والمرأة، مستبعدا البعد النقدي الحداثي والمعاصر الذي يعمل على ترسيخ فكرة موت المؤلف في

سياق اشتغالاته النقدية، وصرف النظر إلى الأعمال الأدبية إلى جانب المتلقي وما ينجر عن قراءاته ومقارباته أيا كان مستواه من تعدد على مستوى استقراء المعاني.

نستجلي التقابل البيني بين المركز والهامش من حيث الدلالة اللغوية قبل إدراجه في سياق كلامي، فإذا ما أسقطناه على الأدب الذكوري والنسوي جعلنا نسبة المركزية للأدب الرجالي، فيما تتعالق اللامركزية أو الهامش بالأدب النسوي، أمسى هذا الأخير مفرغا في حلقة التحاشي وربما الرفض أحيانا، فالأدب الذكوري يتموضع في مركز الدائرة الإبداعية، يتسلم الريادة ليبسط سلطته وجبروته، بل ويجعل من أدبه نموذجا قارا للمعايير اللازم انتهاجها، فيما يتأرجح الأدب النسوي على بوتقة المعارضة، التصدي، فلا يستطيع الاندماج في دائرة المركز، ممّا يجعله دفينا يردد مجموعة من الأسئلة التي تناخم الكون ، الوجود واللاوجود.

كاريزما العقل العربي وثنائية الذكورة والأنوثة

تعدّ قضية تصنيف الأدب الذكوري عن الأدب النسوي انعكاسا تاما للمجتمع الذي يخلق بعدا تمييزيا بين الجنسين، خاصة المجتمع العربي ، الذي يتأسس أساسا على الهيمنة الذكورية، وذاك ناتج عن الاختلاف بين الفكر الذكوري العقلاني والفكر الأنثوي العاطفي، فمسألة الكتابة الذكورية والأنثوية رمز آخر على rتحديد طرفي الرسالة التواصلية، إذ يشكل الذكر فيها دور الملقي بصفة مهيمنة متبنيا الزر الموجب، بينما تمثل المرأة الزر السالب في أغلب المرسلات اللغوية كونها تتبنى جانب المتلقي، فإبداعها لا يرقى البتة لا بأساليبه ولا بمضامينه للكتابة الذكورية.

(الذكورة موجب) /////// (الأنوثة سالب)

كما تتميز المرأة برقتها وعواطفها الجياشة بالنظر إلى الرجل، إذ تغلب على أعمالها الأدبية الرقة والعواطف الجياشة والتنزه عن الخشونة التي تعدّ من صفات الرجل، هل يعد ذلك مؤهلا بيولوجيا ميسرا للممارسة الفعلية الإبداعية ؟ وإن كان كذلك فما تفسير هيمنة الجنس الذكري على الساحة الأدبية وضمور الجنس الأنثوي؟

التوتر والعملية الإبداعية:

يعد التوتر المحرك الفعلي للكتابة الإبداعية أيا كان مؤلفها، من خلال معايشته لتجربة شعورية صادقة كانت أو غير ذلك، فهل يمكن لفعل الكتابة أن يرسم العلاقة بين المرأة والعمل الإبداعي؟ وما طبيعة ذلك التوتر؟ إن رسم معالم التوتر الأنثوي إنما يتعلق بالتمفصلات البيولوجية، الفيزيائية والعاطفية للمرأة، المرأة بصورها المختلفة، صورة المرأة الأم ، المرأة الزوجة، المرأة الأخت، المرأة البنت والمرأة الحبيبة،

كل هذا الصور تقابل صنفا ذكوريا الأب، الزوج، الأخ، الابن والحبيب، تشكل ثنائيات وجودية تفرض ثنائيات فكرية متضادة، وبالتالي ثنائيات لغوية قد تلجأ بدورها للاختلاف والتضاد.

إن التوتر الإبداعي تنفيس عن مواجع النفس البشرية الداخلية ، فالمبدع يلجأ للقلم مستعينا به لتحرير نفسه من القيود النفسية، فيقدم للمتلقي فعلا توتريا ماديا، يترجم حالته النفسية والبيئية التي عاشها، وفضلا عن الماديات الإبداعية الأنثوية، تعكس الكتابة النسوية وجودا أنثويا شاعريا واقعا تحت وطأة الإغراء والتعاطف والرقة تمظهر على جسد أنثوي . والمرأة كما هو جليّ للناظر، أكثر عاطفة من الرجل مما يسنح لها بمعايشة مخاضات من التجارب الشعرية ، فتكبلها التوترات الإبداعية من جهة، ومن جهة أخرى تخنق أنفاسها سلطة رجل، نظرة مجتمع، حياء امرأة بل والخوف من التصريح بما يجول خاطرها ويدغدغ ذاتها، تتناثر الحروف على أوراقها، فتعجز أناملها من وضع النقاط والحركات.

تقول القاصة حفيظة طعّام في مجموعتها القصصية تحت عنوان (لا شيء معي إلاّ معطفي)[iii]:

غبت عن الوعي لوقت أجهله

استفقت مذعورة يلفني الصمت، كان الظلام عن

يميني وشمالي، ومن كلّ النواحي.

المكان لا يتسّع لغيري

أشعر أنني ملفوفة كجنين

صرت أتأبطني

تساءلت: أين أنا؟

فأجابني صوت هامس من خلف الظلام:

صه, أنت ميتة.

تتحرك الأقلام النسائية على مراتب الأفول، لا زالت الأديبة الجزائرية تعيش تحت وطأة الرجل، فهي مغيّبة في مجتمع لا يؤمن بقضيتها ولا بأدبها ، ربّما قد يقتصر الأمر على جسدها المتفتق بالأنوثة، ووظيفتها التربوية، تقول القاصّة أنها كالجنين الذي لا حول له ولا قوّة، والظلام الدّامس محيط به من كل الجوانب، تتوتر أنفاسها لتدنو بها إلى الشعور باللاوجود، تغييب حاضرها ومستقبلها، ضيق مكانها وظلمته ، ملفوفة كالجنين، فالقماط في شكله قد يتشاكل مع الكفن، أجل هو الموت، والمكان الضيق المظلم هو القبر، ثمّ تصرح صه أنت ميتة، إنها شبيهة بصرخة الميت عندما يغادره ذووه، إنّه مآل امرأة في مجتمع مدنّس.

الكتابة النسوية والنقد العربي المعاصر:

ولج مصطلح الكتابة النسوية حيثيات النقد العربي المعاصر على غرار النقد الغربي والذي يستلهم منه الأفكار والآراء النقدية بصفة مستديمة، كان ذلك منذ عشرين عاما، ظهرت معه اهتمامات نقدية مماثلة للقضايا النقدية الغربية في ذات المجال. لقد أثار الأدب النسوي في النقد العرب الحديث جدلا واسعا في مختلف المجالات الفنية على رأسها الفن الروائي، نتيجة وقوعه تحت ضغط أيديولوجية ذكورية مركزية تحاول أن تناقض الكتابة النسوية من منظور معايير المساواة على حساب الخصوصية[iv].

إن اقتراف المرأة لعملية الكتابة إعلان عن رغبتها في مواجهة العالم لتخطي أزمة السلطة الذكورية، ومجابهة لفكرة الممنوع والمحرم بالنسبة للجنس الأنثوي، ومن ثمّ تتمكن من بناء وصقل فرد مقابل لشخص الفرد الذكوري، " تتحدد خصائصه الذهنية والنفسية والبدنية باعتبارها الخصائص المضادة أو المقابلة للخصائص المعيارية للرجل"[v]، إنها تصارع على ثلاث جبهات : الحصول على الحرية، البحث عن الذات وتحقيق الهوية، ثمّ معاندة الرّجل لتكريس مبدأ الكائن والممكن.

الأدب النسوي والنقد الذكوري:

إن اتهام الكتابة النسوية بتدني مستويات اللغة والفكر ليعد معززا للهوة الواقعة بين الأدب الذكوري والأنثوي، إذ لا ينفك الرمز الذكوري السائد ينتقص من قيمة العمل الأنثوي مكابرا بآرائه النقدية او بالأحرى الانتقادية اللاذعة متهما إياه بالتميّع والابتذال، وتلك سمتان لا تكاد تخلو منها الكثير من الأعمال الإبداعية ذكورية كانت أو أنثوية ، يؤزنا ذلك إلى النظر في مسألة أكثر خطورة بأبعادها من مسألة الجمال والقبح في الكتابة، إنها مسألة الحرية التي غيبت في ظل عالم ذكوري متزمت الفكر،

ترى روبين ليكوف *Robin Lakoff* أن لغة المرأة أدنى بالفعل من لغة الرجل، كونها تخضع للضعف وعدم اليقين، وتعبر عن التافه ، لذا وجب عليها في حال سعت إلى تحقيق المساواة أن تعمل على مشاكلة الكتابة الذكورية. بيد أن مجمل النقاد يرون هذا الفعل ناشئا عن استراتيجية ذكورية رفضت إبداع المرأة وابتكارها وأدبها حتّى أواخر القرن الماضي، ما بثّ في ذاتها شعورا بالنقص أمام إبداعات وابتكارات الرجل، "فالكتابة ليست فقط اللعبة والمتعة، ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة لكتاباتها معنى اختيار الحرية وتحمل قهر السلطتين السلطة الشهريارية الذكورية التي لا ترى في المرأة سوى انعكاسات باهتة لعجزها، وسلطة دنيا زادت المنضبطة التي ترقب بود وإخلاص وصرامة الزلل والخطأ، لتنشئ حوله كيانا نقديا"[vi]، إنها لعبة وتلاعب قد يقتضي ذكاء وتفطنا أنثويا وإلاّ بقيت تحت وهم الضعف والعجز، ممّا يجعل أناملها عقيمة.

إن من أهم بواعث نشوء النهضة الأنثوية ضد تزمت الهيمنة الذكورية هو الوعي بالذات، فقد شان المرأة إحساسها بالدونية، مما أزّها إلى ضرورة فرض كيانها ووجودها، فمن شروط إثبات الهوية هو الشعور بأن الجماعة الاجتماعية تعترف للفرد بوظيفته، بدوره بموقعه وسطها، وأن نموه يتبنى معنى معينا، فالناظر في مسألة التفتيش عن الهوية سيثقف تجلي وعي المرأة الفعلي كون الهوية كمصطلح تشير إلى :"تنظيم دينامي داخلي عين للحاجات والدوافع والقدرات والمعتقدات والإدراكات الذاتية، بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والسياسي للفرد، وكلما كان هذا التنظيم على درجة جيدة كلما كان الفرد أكثر إدراكا أو وعيا بتفرده وتشابهه مع الآخرين، وأكثر إدراكا لنقاط قوته وضعفه أما إذا لم يكن التنظيم على درجة جيدة، فإن الفرد يصبح أكثر التباسا فيما يتعلق بتفرّده عن الآخرين ويعتمد بدرجة كبيرة على الآخرين في تقديره لذاته، كما ينعدم الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة له، فيفقد الثقة في نفسه وفي قدرته في السيطرة على مجريات الأمور، وبالتالي ينعزل عن حياة غالبية المجتمع الذي يحيا فيه، وهو ما يعرف بأزمة الهوية *IDENTITY CRISIS* "[vii] ، لقد تأتى هذا الوعي عن الصراع النفسي والأيديولوجي مع السلطة الذكورية، ومحاولة تحقيق الذات الأنثوية التي تمزقت بين هوية موروثة اكتسبتها من فضاءين، الأسرة والمجتمع، وهوية مكبوتة ألغيت من قبل المجتمع توازي مفهوم الهوية الطابو.

وفي ذات الصدد تتحدث دي بوفوار في كتابها "الجنس الآخر" عن الأحكام المطلقة من قبل الرجال في حق الأدبيات النسائية: " كل ما كتب عن المرأة من قبل الرجال يجب أن يثير الشبهات لأنهم خصوم وحكام في نفس الوقت وقد سخروا اللاهوت والفلسفة والقوانين لخدمة مصالحهم" [viii]، تلمح الفيلسوفة إلى السلطة الذكورية المقصودة، والمنحدرة عن رغبة ذكورية في نفي الآخر بل واستعباده عن طريق محو هويته وإقصاء ذاته، فقد عمل الرجل الواضع للقوانين والمعايير على تسخيرها لخدمته.

خصوصيات الكتابة النسوية:

تفرض طبيعة الاختلاف الكامن بين المرأة والرجل ضرورة التساؤل عن ماهية الاختلاف بين أدبيهما، هل صدوره عن دماغ بشري تحركه أثناء التوترات الإبداعية عواطف بشرية جياشة، حتى وإن عاشت في مجتمع واحد، أم أن اختلاف بعض الخصوصيات الجينية والبيولوجية بين الجنسين سيؤدي حتما إلى إيقاع التمايز بين الأدبين الذكور والأنثوي؟ فالمرأة في نظر النقاد مخطئة في إبداعاتها كون "التاريخ الذكوري يزرع فيها القناعة وعدم قدرتها على الابتكار .... والذكر يسعى إلى الحرية من خلال تسييج حرية المرأة، وإلى فرض كتابته ككتابة عبقرية مطلقة يستحيل أن تضاهيها كتابة المرأة. إن الأمر يتعلق بصراع قوي وبمسألة حرية"[ix]، يرسم الذكر حدود حريته انطلاقا من افتكاك حرية المرأة وحصارها ضمن فلك يحركه هو بقوانينه ومعاييره وفقا لرؤاه وقناعاته، لقد فرض هذا الذكر أدبه

كنموذج يستوجب على الأدب الأنثوي أن يتناص معه حتى يرقى لمفهوم الأدبية، ولكن من أفق غير بعيد، يرى أن هذا الكائن الضعيف بجسده وحسّه غير قادر على ولوج عالم الإبداع، إنها فكرة استدمار عقلي وعاطفي.

وغير بعيد عن الدراسات الطبية التشريحية التي أثبتت $، والتي لم تلتفت إليها المنظمات الداعية إلى ضرورة التسوية بين الرجل والمرأة غير آبهين بالأمور التي يستحيل أن تكون موطئ تسوية بينهما، ويمكن تلخيص ذلك في نقاط[x]:

- دماغ الرجل أكبر بنسبة 10 % من دماغ المرأة، بل ويحمل أكثر من إِربعة ملايير خلية أكثر من المرأة.
- تصميم دماغ المرأة مميز بحيث يفوق دماغ أي رجل في العالم في القدرة على التواصل.
- دماغ المرأة مصمم بشكل يسمح له القيام بالعديد من الأعمال في الوقت ذاته.
- دماغ الرجل يحتوي على مادة رمادية أكثر بخمسة ونصف بالمائة مما لدى المرأة، فيما يحتوي دماغ المرأة على المادة البيضاء أكثر بعشرة مما لدى الرجل، إذ المادة الرمادية تتركز في الدماغ لمعالجة المعلومات، ممّا يجعله الأكثر قدرة على حلّ المسائل العلمية مثل الرياضيات، بينما تختص المادة البيضاء بتعزيز شبكة الاتصالات بين الخلايا والفصوص الدماغية كتعلم اللغات.
- عقل المرأة يميل إلى التعبيرات الرمزية، مما يجعلها تميل أكثر لسماع كلمات الحبّ والمديح مثلا، فيما يميل الرجل إلى الاستخدام المادي مما يجعله يفضل الأفعال لا الكلمات.
- الفص الدماغي المسؤول عن الرغبات الجنسية كبير الحجم لدى الرجل بالنسبة للمرأة.
- مركز التفكير التجريدي يكون أكبر لدى الرجل بستة بالمائة مقارنة بالمرأة.

هناك عدة فوارق أخرى والتي من شأنها البرهنة على اختلاف القدرات والمقاصد بل وحتى السلوكات بين الرجل والمرأة، فهي غير عاجزة عن عملية الإبداع والتأليف، إنما توتراتها الإبداعية تعرضها لنوبات عصبية وعاطفية، وكون الرجل يفوقها قدرة على حلّ المعضلات، يتمكن من عاج نوباته التوترية والتنفيس عن مكبوتاته، فيما تعيش المرأة صراعا داخليا.

انقسم الأدباء من حيث نظرتهم إلى خصوصية الأدب النسوي إلى قسمين:

- ❖ أولاهما منكر لذلك، يرى التشابه بين كتابات الجنسين فلا اختلاف واقع بينهما، ومفاد ذلك استخدام لغة واحدة يشاركها الذكر فيها، وإن رامت الخصوصية وجب أن تصنع لغة خاصة بها أو بالأحرى تؤنث لغتها حتى تميّز أدبها، فما ثقفت غير توجيه عملية التأنيث صوب الذاكرة ، لأن اللغة ذكورية بالدرجة الأولى، فإذا استخدمتها لن تتمكن من وسم أدبها بخصائص أنثوية [xi].

❖ أما ثانيهما مقرّ بذلك، متحجج بالاختلاف الجنسي نفسيا وبيولوجيا، كون العمل الإبداعي مترجم لمكنونات النفس البشرية، كما تتميز المرأة بأحاسيسها ومشاعرها وبالتالي ستتميّز بلغتها كون هذه الأخيرة ترجمة للفكر البشري، يقول محمد برادة في ذات الصدد: "اللغة النسائية كمستوى من بين عدة مستويات، هذا الطرح يجب أن نربطه بالنص الأدبي، والنص بطبيعته متعدد المكونات، رغم الوسط هناك تعدد... هناك كلام مرتبط بالتلفظ بالذات المتلفظة.. فأنا من هذه الزاوية لا أستطيع أن أكتب بدل المرأة، لا أستطيع أن أكتب عن أشياء لا أعيشها.."[xii]، إذ تنعكس حياة الأديب بمجتمعه على العمل الأدبي وبالتالي لن يتمكن جنس ما من التعبير عن مكنونات الجنس الآخر ما لم يعش تجاربة الشعرية.

تتعدد ملامح الخصوصية في الأدب النسوي، من قبيل تقمصها لدور البطولة والريادة خاصة في الأعمال الروائية، فهي تناضل من أجل ترسيخ قيم اجتماعية تؤمن بها، وقد تمسي أكثر صدقا في مقاربة الواقع الاجتماعي أكثر من الرجل، كما تسعى المرأة إلى النضال من أجل الحرية، لتتحرر أولا من قبضة السلطة الذكورية، كما أن ثقافة المرأة ولغتها تعد أحد الخصائص التي تميز الأدب الأنثوي عن الأدب الذكوري، فللمرأة لغتها وحوارها. ثمّ استحضار جسد المرأة والتعبير عنه، فتعبيرها عن جسدها سيكون أكثر صدقا من تعبير الرجل عنه.

الناقدة لوت زينب:

السيرة الذاتية:

الدكتورة لوت زينب أستاذة جامعية في المدرسة العليا للأساتذة مستغانم الجزائر، رئيسة قسم اللغة العربية بالنيابة التخصص العلمي: دكتوراه علوم تخصص نقد حديث و معاصر جامعة ابن باديس مستغانم من مؤلفاتها: 1. رواية حصار المرايا ،دار الكتاب مستغانم، الجزائر، 2015 2. كتاب نقدي: حواس اللغة تعريب النص وتوليف عروبته ،دار المنتهى، الجزائر 2016. 3. كتاب نقدي: شعرية الانفتاح، قراءة فلسفية في لزوميات المعري، دار المنتهى، الجزائر 2016 . 4. كتاب الملتقى العربي

للرواية العربية (تأليف مشترك) الكتابة الروائية والمنجز التخييلي، المغرب 2017. 5. كتاب نقدي جماعي: الرواية في الوطن العربي الخصوصية والتلقي: تجربة عز الدين جلاوجي في رواية "العشق المقدس"، مطبعة الجسور، المغرب 2016 6. مجموعة قصصية: " فاكهة الصمت.... تنضج " صادرة من دار الفراهيدي، بغداد 2017 7. أثر الفراشة في رواية فراشة التوت للونا قصير، دراسة في فيزيائية المعنى السردي، دار ماهر، الجزائر2017 8. الصورة الجمالية و استراتيجية الكتابة السردية، دراسة نقدية في أعمال أمنة برواضي، دار ماهر، الجزائر، 2017 9. كتاب نقدي جماعي، رمح آخيل، الخلفيات النصّية وتفاعلاتها في ديوان سفر البوعزيزي للشاعر نصر سامي"دار النشر والتوزيع، دار ميارة، 2017،تونس 10. كتاب مشترك مع مجموعة من الباحثين الأكاديميين عنوانه فن الشعر قراءات وتوقيعات الشكل ونفحات من المضمون تقديم الأستاذ بوقرط الطيب، بموضوع(الومضة الشعرية والمفارقة البلاغية في شعر الهايكو تجربة الشاعر"الاخضر بركة " نموذجا*AlphaDoc*)، الجزائر. 11. كتاب نون النسوة دراسات في السرد النسائي (د.لوت زينب"الجزائر"-د. محمد دخيسي أبو أسامة"المغرب") دار الماهر، الجزائر الطبعة الأولى والثانية 2018م.

رؤيا:

تتطلع الكتابة النسوية أدبا ونقدا إلى خلق عالم خاص تتحدى فيه المرأة الهيمنة الذكورية فتثبت ذاتها، قوتها، تسمع صوتها تفصح وبكل قوة عن وجودها، وجود المرأة الاجتماعية المبدعة، أنها مسألة حضور، بل مسألة وجود، لتفند فكرة التخوف والتردد من السيطرة الذكورية، وتصرخ بكل قوة وعنفوان متحررة من القيود النفسية التي تكبل وجدانها وروحانيتها، فالكتابة إطلاق للعنان، وتخلص من المكبوتات، سحرها شفاء من سقم النفوس مواده الكلمة والقلم والشعور، فتحاول أن تثبت موقفها الفكري كونها إمراة كاملة تختار وترفض، لقد استحدث المرأة مجالا لممارسة القول والفعل للحرية، فهل أوجدت المجال المقابل، فيما يخص ممارسة الحرية في القول والفعل؟

من الأدباء من نفى صفة الإبداع الأدبي عن المرأة ، وبعضهم من أقرّ ذلك لكن عمد إلى نفي العملية النقدية عنها إجحافا واضطهادا، فالمرأة الكاتبة لا يمكن أن تدرس في مجال النقد، ولعل الباحث من هذا الباب يسعى جاهدا إلى تفنيد مثل هذه الترهات مستشهدين ببعض الأعمال التي يكتب لها الخلود لما تتضمنه من مقاربات موضوعية ممزوجة بأساليب تلطفية مصطبغة برقة الناقدة الأنثوية، ولكم في ما يأتي من كلام -وإن كان غيضا من فيض – ملمح للناظر وملمس للمتبصر.

تحاول الناقدة لوت زينب من خلال اشتغالاتها النقدية – سواء التنظيرية من خلال التحدث عن الأدب النسائي، أو التطبيقية من خلال مقابلة نصوص روائية نسائية إلى حط الرحال على مجموعة من القضايا التي شغلت بال المرأة المفكرة، المرأة الأديبة، المرأة الناقدة، كلّ تلك التيمات تقع تحت مسمّى المرأة الثائرة، لكنها ثورة أنثوية دماؤها أحبار مراقة، عتادها كلمات مختارة، وضحاياها أنفاس مزدادة

الدراسة النقدية: لعبة الفوضى وجمالية الكتابة

دراسة الأعمال السردية للكاتبة فاطمة يوسف العلي

رائدة الرواية النسوية الكويتية والقصة التشكيلية[xiii]

لعلّ المتلقي وهو يقرأ هذا العنوان يدهش لطوله ، ولو تفحص شحناته الدلالية لأزّه إلى مباغتة صفحات الكتاب قراءة وتنقيبا، فيفتش بين سطوره عن جماليات الفوضى التي تزينّت بها الكاتبة الكويتية فاطمة يوسف العلي وهي تتغنى بقلمها، بشظايا أفكارها معلنة الحرب،فهي من الوجوه البارزة في الكتابة النسوية الكويتية، والتي استطاعت أن تخصص لنفسها مكانة مرموقة في على المسرح الأدبي المعاصر.

تتبنى الناقدة مصطلح اللعبة، الذي يربط الانسان دوما بالزمن الجميل، الزمن الذي يمكنه من التعبير بحرية دون تفكير ودون مقدمات، ثمّ هي لعبة فوضى إذ تتبعثر الكلمات وتسبح في فضاء غامر بل فضاء تتغامز عليه عيون المعاني والمدركات، وتتجلى بها إلى أفق الريادة، الخروج عن الصمت. هل مقصودها جماليات الفوضى أم فوضى الجماليات؟

استطاعت الناقدة بلسانها بأفكارها بذوقها وحسّها الفني أن تسطر مشهدا إبداعيا يصف إبداعا سابقا، أوليس النقد إبداع على إبداع، لتستوطن تل الأفكار في بلد اسمه اللغة، تقول الناقدة في مقدماتها:"تشكل الكاتبة (فاطمة يوسف العلي) جسد الواقع، وتجسّد واقعيته الملموسة، بالملامسة الإستراتيجية لأنفاس الحقيقة في الوجود أو المقاربة الجمالية لكُنه التوتر الإنساني والفكر الاجتماعي والنفسي داخل مؤثرات المحتوى العالمي بكل ما تحمل خرائطه التغيرية والظروف السياسية ، انقلاباته الاستيطانية المتوترة في حدود الأنساق التركيبية للغة وهي تخيط حيزّ الكون المتنامي"[xiv]، إذا ما نقبنا في حيثيات هذا النص، نثقف مواد الحرب الأنثوية كلمات مبعثرة منثورة، وعبارات مسبوكة معبّرة: جسد الدمية الصماء، لعبة في يد الرجل، مسكن وسكون، يعلن درجة الصفر، تسكنه روح صمّاء، لكن الكاتبة فاطمة يوسف العلي قد تجاوزت عتبات الطرقات، واستطاعت أن تكون جسد الواقع، مسرح يتعرّى من كل المجاملات ليستوطنه جسد آخر، لقد خرجت الكاتبة عن صمتها لتبوح بخبايا الكائن المكبوت فتصف الواقع على حاله، دون وضع مساحيق التجميل، وتقول الناقدة أن المقاربة جمالية لأن الكاتبة قد فتحت النوافذ لتعبرّ وتطلق العنان لمكبوتاتها الناشئة عن التوترات الإبداعية،

والتي سبها كل المؤثرات الاجتماعية والسياسية والنفسية والإنسانية التي ربّاها المجتمع، وتقول أنها مقاربة جمالية لأنها صادرة عن صراخ أنثوي عذب، فاستطاعت الكاتبة توليفه في نظم تركيبية أسست لغد مشرق بل لعالم جديد ومتنامي أمام جنس مدحض.

استطاعت الناقدة وهي تفتش بعينيها بين ثنايا السطور، أن تخلق بحق معادلة موضوعية، بل معادلات بين الأديب والناقد والقارئ، فعملت على تشريح البنى اللغوية تشريحا متماسكا متيقظا بجماليات الصوت النسائي الخارج من بوتقة الصمت إلى عنفوان البوح، منتهجة النقد الاجتماعي بآلياته ومبادئه، مستندة إلى لغة نسوية نقدية لا تكاد تختلف عن اللغة الأدبية التي تقاربها وتلامس فنياتها الجمالية، فاستطاعت ان تقدّم صورا نقدية تعيد رواية المحكي .

إنجيل سيمون دي بوفوار*Simone de Beauvoir*. والنص النسوي

-المرأة والجسد: ترى الكاتبة أن النسوية تتفتق معالمها من خلال إقامة المرأة لعلاقة مع جسدها كأنثى، ثم تستطرد القول حول هذا الجسد المنهك والمدنس قائلة: " لكن علاقتها مع الجسد تكون مضطربة فهو الذي سيمتلكه الرجل وهو من يجعلها تمارس معرفتها بهذا الحامل لروحها وإن اُغتُصِّبَ بشتَّى أنواع الاغتصاب الاجتماعي فستتغير نظرتها إليه باستفزاز واستنكار لوجودها بداخل هذا المدنس والمتغير والمنتهك" ، وتستشهد لمثل أنواع الاغتصاب الاجتماعي بختان البنات الذي تحدثت عنه الكاتبة التونسية فاطمة بن محمود في روايتها "الملائكة لا تطير"[xv].

-المرأة وفقدان الذات: ثم تسوق الكاتبة نموذجا يمثل خروج المرأة عن صمتها ، إنها الأديبة فضيلة فاروق في روايتها تاء الخجل، تستحضر صورة النساء العائدات من أحضان إرهاب أثناء فترة العشرية السوداء بعدما كن رهائن لديهم، عدن ليروين مشاهد اغتصابهن بوحشية ، خرجن عن صمتهن بعد أن أصبهن الذعر لهول ما رأين،" ليدركوا شراسة العيون التي تحدق بهن من طرف الترهل الفكري للمجتمع ذلك النقص و المهانة وفقدان الذات الذي يصل مرات عديدة للانتحار" [xvi] ، فلا مستقبل لهن في مجتمع سنام ذروته فكر رجعي، فقد أمسى الانفلات الأخلاقي لصيقا بهن مع تجردهن من المسؤولية.

-الكتابة وثائية الذكورة/الأنوثة: ترى الكاتبة أن للكتابة النسوية خصائص تميزها عن الكتابة الذكورية، فلكل تجارب تاريخية، نفسية وثقافية مختلفة، فتقول أن ثمة خصائص يحتمل وجودها في كتابات النساء أكثر من كتابات الرجال، وخصائص أخرى تميز الكتابة الرجالية عن الكتابة النسوية.

-المرأة والتحرر: تستطرد الكاتبة مجموعة من التساؤلات حول المرأة ذاتا وهوية، هل استوعبت معنى الحرية حتى تثقف مقام استرجاعها؟ هل المقام ذاته أم استيطان ذاتها في الآخر؟ أي حرية تريد؟ لا بدّ

لها من فقه معنى الحرية، ومن أوجه التلذذ لدى المرأة على رأي سيمون دي بوفوار كما لمحت له الكاتبة متعة الشراء، إذ تقول: "الشراء بالنسبة للمرأة يشكل لذة عميقة تعادل لذة الاختراع"[xvii]، وإنما تحقق اللذة واقع نتيجة الحصول على الرغبات والشعور بالامتلاك.

هذا وممارسة النشاطات الذكورية من قبل المرأة يعزّز إحساسها الغريزي بمجابهة الطرف الآخر، لتنتقل من الهامش إلى المركز، فتنقلب موازين المجتمع بخصوص عاداته وتقاليده، هل هي حرب على الجنس الآخر، أم على المجتمع بجنسيه؟ إنها مسألة تقويض الذات الراكدة، الذات الساكنة ، انتشالها من الركام وإيقاظها لتصرخ بلا صوت أو نفس، فتنهج سبيل الفعل الانفجاري نتيجة تراكم مستحاثات السلوكات الذكورية. ، تقول الكاتبة في ذات الصدد: "فتحرير النفس من الذات أولاً، لا يعادل تحريرها من الآخر لتبرير فرز طاقة حضورها، وهذا ما يجسد للرأي النقدي للعناية بمفهوم النسوية من المرأة بخصوصيتها المحضة، وليس بوهم الزعامة لحصول النساء على سيرورة المكانة المثلى بالتوافق التكاملي ورغم الماضي السحيق والحاضر المعاصر لا تزال تلك السائدة في قرابتها الحسية العميقة والفطرية المتعمقة في تفاصيل الأشياء، وذاته التي تمارس سلطتها على كل زوايا النظام الداخلي المنعكس على الخارج"، إن تقمص الدور الذكوري بممارسة مهنه وارتداء ملابسه لن يكرس مبدأ الحرية، إذ ستبقى المرأة امرأة رغم كل ذلك، بل سيعمل على تحريرها من الأنثوية، وهكذا ستفقد سبيل تحقيق حريتها، إذ ليس تحرير الذات بالأمر الهيّن.

خاتمة:

إن ضعف المرأة بكتابتها وإبداعها أمام لغة رجالية قمعية سيطرت على عالم ذكوري لا متناهي الأبعاد ، أزّها إلى الشعور بالتخوف والتحرج من مزاحمة الرجل في مجال حدده بقيمه ومبادئه، كما أن تكريس مبادئ التخوف، الشعور بالنقص ،التردد واللاجراة تعد حواجزا في طريق الثورة النسوية الفكرية خاصة في عالم عربي محدد الأفكار والسلوكات.

فالكتابة النسوية بكل أنماطها وأشكالها لا تشكل حربا على عمل إبداعي ذكوري، بل إقرارا بمسألة الوجود المغيبة، بل وتعد حلولا لمشاكل بين الجنسين، رغم أن تشفير رموز الرسالة اللغوية إذا ما انعكس طرفاها سيؤرق الذكر المتلقي باعتبار أن المرأة كيان غامض يصعب فهمه وحل رموزه، فما بال الملقي امرأة موهوبة عاطفية تجيد تخير الرموز والمعاني.

لقد حفر الإبداع النسوي في مجموعة من الأنساق الدالة، محاولات هدم ثمّ إعادة بناء، حفريات في الجسد، في الهوية، في القيمة ، في مجتمع غير متوازي الفكر والنظم، كل ذلك تحت مجهرية ووطأة الجنس الذكوري. إن الفكر الأنثوي مقبول لكن خاضع لحدود تحول دون انفتاحه. للكتابة الذكورية

الحق في التحرر الفكري والإفصاح عنه، بينما الأنثى ليس بإمكانها مكابدة شذرات الانغلاق، الهروب من مأساة والوقوع في مأساة.

المراجع:

i – ابن منظور: لسان العرب، دار صادر ، لبنان، 1997م، ط1، مجلد 3، ص113.

ii - /https://www.almaany.com/ar/dict/ar-arهامش/

iii - حفيظة طعّام: لا شيء معي إلاّ معطفي، مجموعة قصصية، دار الكلمة،الجزائر، 2017، ط1، ص05.

iv - رشيدة بنمسعود: المرأة والكتابة سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف، إفريقيا الشرق. المغرب،2002م، ط3، ص90.

v - محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان، 1996، ص183.

vi - واسيني الأعرج : الأدب النسائي (ارتباكات المصطلح وأشواق العنف المبطن).مجلة روافد، عدد خاص بالمرأة والإبداع، منشورات مارينو، الجزائر ، 1999م، ع1، ص13.

vii - عادل عبد الله محمد: دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الاغتراب، الاضطرابات النفسية)، دار رشاد، مصر، 2000، ط1، ص16.

viii - سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر،تر : مجموعة من الأساتذة، المكتبة الأهلية، لبنان، 1966، ص08. نقلا عن لوت زينب: نون النسوة1.

- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، مصر، ix 1996م.

x - http://bresala.net/articles/93_

- محمد عبد الله الغذامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2006م، ط3، ص8.xi

- محمد برادة: هل هناك لغة نسائية. مجلة آفاق، المغرب، 1983م، ع12، ص135.xii

- زينب لوت: لعبة الفوضى وجمالية الكتابة ، دراسة الأعمال السردية للكاتبة فاطمة يوسف العلي xiii (رائدة الرواية النسوية الكويتية والقصة التشكيلية) ، دار غراب للنشر والتوزيع، مصر، 2018.

[xiv] - لوت زينب: - زينب لوت: لعبة الفوضى وجمالية الكتابة ، دراسة الأعمال السردية للكاتبة فاطمة يوسف العلي (رائدة الرواية النسوية الكويتية والقصة التشكيلية)، ص07.

[xv] - لوت زينب: نون النسوة 1، مجلة فكر وإبداع، مجلة دولية محكمة، مصر،أغسطس، 2019.

[xvi] - م ن، ص ن.

[xvii] - سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، ص 193.